الوجودية الاسرائيلية. وفي قناعتنا ان النص يفضح نفسه في نهاية الثمانينات، من ناحية، ويفضح نفسه، أيضاً، من خلال الاسقاط (projection) الذاتي الذي اعتمده الكاتب مستخدماً توليفة تجمع بين ما هو خيالي خصب وبين المواد الواقعية. وتقوم عملية التحليل بشدّ المادة الواقعية المعتمدة في المراجع والوقائع المستند اليها، بحيث تغطي المطلب التخيّلي، وبحيث تبدو الثقة الزائدة بالذات، وكأن هذا التحليل التخيّلي مادة «حتمية» الحدوث. وعلى اعتبار ان ليس ثمّة حتمية للحدوث في زمن اثبت ان الاحداث «احتمالية»، فان السياق السابق للتحليل يؤكد لنا، في مقدمته، ان ليس ثمّة تحليل استراتيجي قُدّم في النص سالف الذكر.

فمن الواضح انه يتصور الامور كما لو ان بمقدور اسرائيل القيام بأعمال كازالة الاردن، وتفتيت سوريا والعراق ومصر ولبنان، واستعادة سيناء، وكما لو ان ليس ثمة اطراف أخرى في هذه المعادلات الكبرى، وكما لو ان اسرائيل مطلقة التأثير والمقدرة ودون أي اعتبار لوجود الدول والشعوب والدول العظمى، الخ. وتبدو الصورة أكثر مدعاة للتندّر، عندما أكد الكاتب ان هذه الامور في متناول يد اسرائيل. وعندما عقد الكاتب المقارنة مع الصليبيين التي سبق ان تحدثنا عن الهاجس الذي تشكله هذه التجربة التاريخية بالنسبة الى كل المطلعين على التاريخ، بدا في وضعية الاسقاط الذاتي، حيث يزوّر حقيقة كون اسرائيل، كالصليبيين، غريبة عن المنطقة منذ البداية. وهنا يخرّج الكاتب رغبته في ايجاد صورة «ذهنية» تبدو فيها اسرائيل حقيقة ازلية، ماضياً وحاضراً.

وعندما ذهب الى ضرورة توزيع السكان، بدت المسألة مدعاة الى مزيد من التندّر، خاصة للعارف بحقيقة الصراع النووي واحتمالاته في المنطقة؛ اذ اننا لو سلّمنا بامكان استخدام السلاح النووي في الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وهذا أمر مستبعد، على الاقل في المدى المنظور، فان اقتراح توزيع السكان لن يقدّم، أو يؤخر، شيئاً في حقيقة ان هذا الصراع سيذهب بالكمّ البشري على مساحة دائرة تغطي فلسطين المحتلة فيما لو توفّرت للعرب ١٢ قنبلة نووية، في حين ستحتاج اسرائيل الى مئة قنبلة نووية لردع غالبية الوطن العربي[١٤]. أي ان الاقتراح، سالف الذكر، بالتوزيع ليس أكثر من اظهار شفوي لا معنى له على الارض، بأن التخطيط الاستراتيجي قائم على قدم وساق في اسرائيل للدخول في عصر الصراع النووي مع العرب، وان هذا الصراع حتمي، وليس على اسرائيل الّا توزيع السكان، وهي مرحلة درء النفس استراتيجياً. وعندما وصل الى استقلالية اسرائيل الاقتصادية، فان المساعدات الاميركية لعام ١٩٨٨ لاسرائيل، والتي وصلت الى خمسة مليارات دولار، تكشف اللااستراتيجية في هذا التحليل.

ببسيط العبارة، يظهر لنا النص السابق ذاته على انه مجرد «حلم» استراتيجي ليس الّا. فهو لا يناقش الاحتمالات، انّما يضع الامور في نصاب ما يجب على اسرائيل ان تفعله، مدّعياً بأنه أمر متيّسر وبسيط بالنسبة اليها. وعليه، فان هذا النص يبدو انه نصّ اعلامي من النوع الذي يستهدف التصدير الداخلي، والخارجي، وذلك بهدف اضفاء صورة غير دقيقة عن امكانات اسرائيل، ومدى تأثيرها في الوعي واللاوعي الاسرائيلي، والعربي، على حد سواء. والحال، اننا لا نجد نصّاً يمكن ان نطلق عليه نصاً استراتيجياً بالمعنى السياسي والشمولي للكلمة. فحتى بعض النصوص التي تتعامل مع الاحتمالات[١٥]، فانها تنطلق من مسلّمة غير معتبرة على انها مسلّمة لدى الاستراتيجيين الحقيقيين، وهي ان لدى اسرائيل القدرة الاكبر والحظ الأوفر في تأمين مستلزمات الاستمرارية. ولعل نص اوري افنيري الذي اوردناه سالفاً يكاد يكون أكثر النصوص الاستراتيجية اعترافاً بلااستراتيجية ما هو سائد. ويؤكد الحقيقة سالفة الذكر يهوشفاط هركابي، بقوله: «اذا لم يكن